الحمدُ لله ربِّ العالمين، و الصلاةُ و السلامُ على سيِّد المرسلين و خاتم النبيين محمد و آله و صحبه أجمعين.

أما بعـــد !

فهذه المحاضرة التي عنوانها " ***الإنسانية تنتظركم أيها العرب*** " محاضرة ألقاها كاتب هذه السطور في اجتماع عقدته الجامعة الإسلامية بالمدينة المنوّرة. حضره كبارُ العلماء في المدينة المنورة، و المسئولون عن الجامعة الإسلامية، و شرّفه رئيسُ القضاة صاحبُ الفضيلة الشيخ عبد العزيز الصالح، و كبير علماء المملكة العربية السعودية، و رئيس الجامعة، و رئيس رابطة العالم الإسلامي في المملكة العربية السعودية، و سماحة الشيخ عبد العزيز بن الباز، و أحد أعضاء الأسرة السعودية الحاكمة.[١] و انتهزت هذه الفرصة الثمينة النادرة لإثارة الشعورِ الإسلاميِّ الدعويِّ

---

١ لعلّه أمير المدينة المنوّرة في ذلك الزمان.

المنسيّ، و العطف على الإنسانية المظلومة المهجورة، و معرفة قيمة الأمة العربية المختارة المبعوثة لهذا الغرض.

و قد قوبلت هذه المحاضرة المرتجلة باستماع و تقدير، و علّق عليها بعض المستمعين الكرام، و الحاضرين العظام و قد بدا لصاحب المحاضرة كاتب هذه السطور أن ينشرها بعد ما مضى عليها أعوام طوال ، لإثارة هذا الشعور لإنقاذ البشرية، و إزالة غفلة المسئولين عنه في هذا الزمان لشدة الحاجة إليه .

و إلى القرّاء هذه المحاضرة المرتجلة و الكلمة المخلصة عفو الساعة ، فيض الخاطر .

و الله هو الموفِّق و هو المستعان .

أبو الحسن علي الحسني الندوي
رئيس ندوة العلماء
لكهنؤ (الهند)

١١/٦/١٤٢٠هـ
٢٢/٩/١٩٩٩م

الإنسانية تنتظركم أيها العرب !!!

بسم الله الرّحمن الرّحيم

الحمد لله رب العالمين، و صلى الله تبارك و تعالى على خير خلقه سيِّدنا و مولانا محمد، و آله و صحبه أجمعين و بارك و سلّم، أما بعد :

حضرات السادة الأجلاء ! لقد اعتاد المؤلفون القدامى إذا افتتحوا كتاباً و التمسوا العذر للتأليف قالوا : أمرني فلان، أمرني من أمره حكم و طاعته غنم، يحلو لي أن أردِّد هذه الكلمة باستحقاق مناسب للحال، و ما كان يجول بخاطري أنِّي سأسهم في هذا الحفل الكبير الذي له قيمة كبيرة بتشريف صاحب السمو الملكي و حضرة رئيس القضاة صاحب الفضيلة الشيخ عبد العزيز الصالح، و

سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، و هذه صفوة مختارة نخبة من أعلام العالم الإسلامي اليوم حاشاي إذا نكرت نفسي الصغيرة. و لكن هذا شرف و هذه فرصة كريمة يجب أن تنتهز، و لعلّ الله يفتح عليّ بما ينفعني قبل كلِّ واحد، و ما يكتب عند الله من حسناتي و من حسنات هذه الساعة.

ما عساي أقول لكم أيها الإخوان ! أيها السادة الأجلاء ! إن من سبقني من أهل الفضل قد أشبع الكلام و أحاط بالأطراف و أفاد و أجاد، و لكنِّي إذا رأيت مندوحة في الكلام و مبرِّراً. فذلك ما ألهمت في هذه الساعة. عفو الساعة فيض الخاطر، و هو أن أبلِّغ إليكم أمانة عزيزة في عنقي. أمانة الشعوب التي زرتها. والبلاد التي أتاح الله لي الفرصة لزيارتها. و أبلِّغ إليكم رسالة من الشعب الذي أنتمي إليه. الشعب المسلم الغيور الذي يقطن شبه القارة الهندية. و الشعوب الإسلامية و غير الإسلامية.

أيها السادة ! إن هنالك كل شيئ، إن العالم قد اتّخم، قد اتّخم بالحضارة، و اتّخم بالآلات، و اتّخم بالمعلومات، و اتّخم بالمكتبات، و اتّخم بالمطبوعات، و اتّخم بالصحافة، و اتّخم بنتائج حصاد العقل الإنساني النابغ، و لكنه يشكو فراغاً، يشكو فراغاً في هذا المجتمع، يشكو فراغاً في هذه الحياة، و فراغ القلب المخلص المتألم المؤمن، فراغ العقل الواعي المؤمن، فراغ الإخلاص، فراغ التألم للبشرية، إنكم تجدون في أوربا، تجدون في آسيا و إفريقيا على تخلفهما، كلّ ما أنتجته القرائح البشرية، و كل ما دبّجته الأقلام، كل ما خلّفه السلف للخلف، و لكن هذا العالم يشكو فراغاً، الفراغ الذي أفقد رونق كلِّ شيئ، الفراغ الذي طمس معالم النور، معالم الحياة، الفراغ الذي جعل كلّ ذلك هباءاً منثوراً، و يا ليته كان هباءاً منثوراً، لا، و لكنه قد حوّل هذه الآلات إلى آلات مدمِّرة، وحوّل هذا العقل إلى عقل مدمِّر، إلى عقل مفسِد، إلى عقل شيطاني إبليسي، و حوّل

هذه المدنية جحيماً، إنه قد استفاد، قد استمد في العهد الذي تحدث عنه سماحة الشيخ أستاذنا الشيخ عبد العزيز، و تحدث عنه العالم الجليل الشيخ محمد الحبيب الخوجة، قد استمد هذا العالم كله ذلك النور، تلك الهداية، و ملأ ذلك الخواء، ملأ ذلك الفراغ الهائل الواقع في ما كانت تملكه البشرية في ذلك العهد الراقي المتمدن، إنه استمد من هذه المدينة التي كانت تعيش في عزلة عن العالم، و في أقصى العالم، في هذه البلاد التي زهد فيها الطماعون، و زهد فيها الطامحون، و زهد فيها عباد النفس و عباد الشهوات، و عباد الملك و السلطان، زهدوا فيها لقلة خيراتها، زهدوا فيها لقلة حولها و طولها، زهدوا فيها لقلة الآثار المدنية فيها، و لكن هذه المدينة، هذه المدينة المنطوية، المنطوية على نفسها قد أفاضت على العالم الإيمان بعد ما فقده العالم كله، بدياناته و بنظمه و بأخلاقه و بمفكّريه و بفلاسفته، كان العالم يحتاج إلى الإيمان، و الإيمان قد فقد من مراكز كانت

محتكرة للإيمان، كانت مظنة للإيمان إذا صحّ التعبير، إن المسيحية قد فقدت الإيمان نفسها، إن اليهودية قد فقدت الإيمان نفسها، إن البوذية قد فقدت الإيمان نفسها، إن البرهمية قد فقدت الإيمان نفسها، إن المجوسية قد فقدت الإيمان نفسها، و كلها كانت تعيش، تعيش في تذبذب، تعيش في السراب، تعيش في شكوك، تعيش في **ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكد يراها، و من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور**. استفاد هذا العالم من هذه المدينة، أقسم بالله إن هذا العالم، إن أثمن ما وجده هنا، ليست المدنية، و ليست الحضارة، و ليست هذه الحواشي الرقيقة للمدنية، و ليست هذه الفلوس التي كان يعيش بها العالم كله، إنه استفاد الإيمان القوي، الثقة بالله، التوحيد الخالص النقي، الإيمان بوحدانية الله تبارك و تعالى، ثم الإيمان بكرامة الإنسان، الإيمان بأن الإنسان هو

أشرف خلق الله، هو أشرف صنائع الله، و أفضل صنائع الله، و أجمل صنائع الله، هذه التحفة، هذه القوة، القوة الكامنة، القوة الدافقة، التي استفادها العالم من هذه الجزيرة، فعاد كلُّ شيئ له معنى، قد كان قد أصبح كلُّ شيئ ليس له معنى، ألفاظ و أسماء بلا مسميات، و ألفاظ بلا معاني، و صور و دمى لا روح فيها و لا حياة، **أو من كان ميتاً فأحييناه و جعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها**، هذا كان مثل العالم كله، فالشيئ العزيز، الشيئ النادر الذي يئست منه الإنسانية، و نفضت منه يدها، و قطعت منه رجاءها، الشيئ الذي كان يحول العالم كله عالماً إنسانياً، قد أصبح غابة تحكم فيها شريعة الغابات و قانون العصابات، بحراً يأكل فيه الحوتُ الكبيرُ الحوتَ الصغيرَ، امتهن الإنسان نفسه ففقد القيمة و صار يعبد كل ما كان دونه فضلاً عمّا

كان فوقه، من هنا وجد الإيمان بعد آلاف من السنين، بعد فترة قصيرة قضتها المسيحية، على هدى من الله، و بعد فترة قصيرة قضتها الرسالات السماوية التي أكرم الله بها الأنبياء عليهم الصلوة و السلام، و لكنه أصبح نورهم و نورها ضعيفاً، كاليراعة التي تلمع في ليلة باردة مطيرة، هنا طلعت الشمس الوهّاجة، هنا طلعت الشمس المشرقة التي تملأ القلوب إيماناً و حماساً و حرارة و حياة، فأبلِّغكم أيها الإخوان ! و أتشرّف بهذا التبليغ، و أستحل به هذه الجسارة التي ارتكبتها أمامكم، أبلِّغكم رسالة الإنسانية المعذبة، أبلِّغكم رسالة الإنسانية التعسة، أبلِّغكم رسالة الإنسانية الشقية، بنفسها و بعلمها و بعقلها و بمدنيّتها، هؤلاء الملايين من البشر في الهند، و الله إنهم متهيئون و لي حق أن أتحدث عنهم بحكم أنِّي مواطن، بحكم أنِّي ابن الهند، و بحكم أنِّي ولدت و نشأت و تعلمت هناك، أبلِّغكم أنين هذا الشعب، أبلِّغكم زفرات هذا الشعب، أبلِّغكم

تأوُّهات هذا الشعب، هذا الشعب يقول بلسان الحال و بلسان القال أين المنجدون !! أين المغيثون !! أين النجدة !! إنهم ينظرون إلى هذه الجزيرة، لأنهم عرفوا أن هذه الجزيرة أفاضت عليهم هذا النور بعد ما انطفأ النور كله، و أفاضت عليهم الحياة بعد ما فقدوا الحياة كلها، إن هؤلاء المجوس، إن هؤلاء البوذيين، إن هؤلاء الوثنيين، و الله متهيئون لقبول الرسالة كما كان يتفضّل بها فضيلة الشيخ عبد العزيز و صاحب السمو الملكي، إنني أقول لكم و أحلف بالله و أنا هنا في رحاب مسجد الرسول ﷺ ، أنا تحدثت في حفل حاشد في إحدى عواصم الولاية المتحدة الشمالية في الهند، في ظل أكبر محكمة قانونية في الهند في إله آباد، تحدثت إليهم و كان يرأس هذا الحفل محامي حقوقي كبير بارز من كبار الحقوقيين، تحدثت عن الإسلام و تحدثت عما تقاسيه الإنسانية و البشرية، فلما جاء دوره أثنى عليّ و أيّدني، و كلهم عيون شاخصة، و قلوب

متطلعة، و آذان واعية إلى أن ينجدهم الإسلام، إن هذه الأرواح إنّي أقول لكم يجب علينا أن نتقي في هذه الأرواح المتعطشة، في هذه القلوب الخاوية، في هذه النفوس الزاوية، اتقوا الله أيها الإخوان و أنا أقول - أوصي نفسي أوّلاً و إيّاكم، و أنا إنما أعتبر نفسي أحد أعضاء هذه الأسرة الكريمة، و أتشرّف بذلك - اتقوا الله في هذه الشعوب التي تتسكع في الدياجير، التي تتسكع في الظلام، التي ترزح تحت نير الاستعباد، و الاستعباد ليس حكماً، ليس حكم الأجانب، إن حكم الأجانب شيئ موقت، شيئ قصير و زائل، لقد زال هذا الظل البغيض من الهند من غير رجعة، فلا يرجع إليها أبداً، و لكن حكم الخرافات، حكم الجهالة، حكم عبادة النفس، هذه أطول أمداً، و أعمق مدىً و أوسع أرجاءاً من هذا الحكم الذي هو خلاف الطبيعة، الذي هو ضد الطبيعة، و الذي هو غير صالح للبقاء، إن تقليد حكم أمة لأمة على أساس الاستعباد، و على أساس الاستغلال،

قد زال، إن العصر قد تنكر له و أصبح شيئاً لا محل له و لا مجال له في هذه الحياة المتمدنة، و لكن علينا أن نهزم هذا الحكم، حكم الشهوات، حكم النفوس، و حكم المادة، المادة الرعناء، التي قد مجّها الناس، و ما هذه الطرق التي تستنكرها الخنافس و غير الخنافس إلاّ آثار ذلك المرض الذي قد تسرّب، قد نفذ إلى الأعماق، إنه كالجدري، إذا كان حّمى فإنه يظهر، يثبت وجوده بالجدري، إن المدنية الأوربية قد أثبتت مرضها و علّتها بهذا الجدري، الذي ظهر على وجه المدنية الباهر الجميل، فهذه كلها حركات التنمُّر، حركات السآمة التي قد بدت طلائعها من أمريكا و من أوربا، ما هي إلاّ آثار السآمة و آثار الضجر، آثار الضجر النفسي، و آثار اليأس من صلاحية هذه المدنية للقيادة، و هنا دور الإسلام، هنا دوركم أيها الأماجد ! هنا دوركم يا أشبال الأسود ! هنا دوركم يا قادة البشرية ! هنا دوركم يا أساتذة المدنية ! يا أساتذة أساتذة أساتذة العالم ! هنا

نوركم، و حرام علينا أن نفوِّت هذه الفرصة، أن تفوتنا هذه الفرصة الكريمة، هنا الشعب الهندي البرهمي، هنا الشعوب المسيحية، هنا الشعوب البدوية، التي نصف متعلمة في إفريقيا و في غير إفريقيا، هذه كلها تمد إليكم يد الاستغاثة، و ترفع إليكم صوتها النابع من أعماق النفس، تقول لكم إلى متى أيها العرب ! إلى متى أيها السادة ! ننتظركم تغيثوننا و تبلُّون غلّتنا، و تشبعون جوعتنا، و تنقذوننا من هذه البراثن الوحشية، من براثن الجهالة، من براثن عبادة النفس، من براثن عبادة المادية، فهذا يطلب منكم ذلك الإيثار، تلك التضحية، ذلك الزهد، ذلك الاستنكاف من الجري وراء المادية، و وراء المظاهر كما فعل أسلافكم، و فيكم كلُّ أمل و فيكم كلُّ صلاحية، و إنِّي أستميحكم العفو إذا كنت قد تعديت حدودي و تخطيت، و إذا كانت صدرت منِّي كلمة لا تليق بفضلكم، و لا تليق بحقِّكم، و لا تليق بكرامتكم، و لا تليق بمنتكم علينا، بتوجيهكم الدعوة

لزيارة الجامعة، ومـــا أبصرنا بعيوننا - و نحمـــد الله على ذلك - مـــن الإنجازات الكبيرة و مـــن البشـــائر العظيمة .

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

أبو الحسن علي الحسني الندوي

الإنسانية
تنتظركم أيها العرب !!!

المجمع الإسلامي العلمي
ص. ب. ١١٩ لكناؤ (الهند)